بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

«نسأل الله تعالى حسن الخاتمة»

الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد، وخص أهل طاعته بالهداية إلى سبيل الرشاد، ووفقهم بلطفه لصالح الأعمال ففازوا ببلوغ المراد.

أحمده حمد معترف بجزيل الأرفاد[1]، وأعوذ به من وبيل الطرد والإبعاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم المعاد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، موضح سبيل الهدى والسداد، قامع الجاحدين والملحدين من أهل الزيغ والعناد، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه الأكرمين الأجواد، صلاة تبلغهم بها نهاية الأمل والمراد.

ثم أما بعد،،،

فإن من أهم ما تبذل فيه الحيوات، وتنفق فيه الأوقات، وتهتم به الدعوات، الجانب التربوي في الدعوة، فبه يتجدد نشاطها، وتتفتح به زهراتها، وتطيب ثمراتها، فبالتربية تصح العقائد، وتعمق المفاهيم الصحيحة، وتغرس الأخلاق النبيلة، وينشأ الصغار على ما درج عليه الكبار، قال بعض السلف: لا يزال الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخر. وهل قامت دولة الإسلام، وارتفع دين الملك العلام إلا بتربية الصحابة الكرام على يد المربي الأول الذي تشرفت البشرية برؤيته، واستضاءت المعمورة ببركة دعوته؟!

فقد كان أكبر هَمِّ النبي ﷺ تربية الصحابة الكرام بمكة بدار الأرقم ابن أبي الأرقم بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) **الأرفاد**: الإعطاء والإعانة.

فرض الله - عَزَّ وَجَلَّ - على نبيه ﷺ قيام الليل فقام النبي ﷺ وقام الصحابة معه حولًا كاملًا، واحتجز الله - عَزَّ وَجَلَّ - خاتمة السورة اثنى عشر شهرًا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف(١).

وقصدت رضي الله عنها فرض قيام الليل بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

وقصدت بالتخفيف الآية الأخيرة من السورة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠].

أليس من الغريب العجيب أن يفرض قيام الليل قبل أن تفرض الصلوات الخمس، وقبل أن تنزل الحدود، وإنما كان ذلك كذلك تربية لهذه الأمة ورفعا لمستواها الإيماني، وكان مما يميز القرآن المكي تقرير وتكرير أمور الآخرة على القلوب والأسماع، حتى يصير المسلم وكأنه يراها بعيني رأسه، وكذا كثرة القصص الذي يسلي المؤمنين ويزيد ثقتهم بنصر الله رب العالمين، فلما نزلت الحدود والتشريعات بعد ذلك سارع الصحابة رضي الله عنهم إلى امتثال أوامر الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار، تعني رضي الله عنها سورة المدثر، وهي ثاني سورة نزولًا، وفيها يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤١].

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام.

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٢٦) «صلاة المسافرين»، وأحمد (٦/ ٥٤)، وأبو داود (٨/ ١٣) «قيام الليل»، والنسائي (٤/ ١٩٩) «قيام الليل».

ولو نزل من أول الأمر: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا.

أنزل على النبي ﷺ وأنا جارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة.

فلا شك في أن النبي ﷺ في مكة كان أكبر همه تربية الصحابة الكرام، ومن أجل الاهتمام بالتربية أمروا بكف الأيدي وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

[النساء: ٧٧]

ومن أجل الاهتمام بالتربية أيضا نهوا عن رد الاعتداء بالاعتداء، وأمروا بالعفو والصفح كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ١٤]، حتى لا يشغلوا بالمعارك الجانبية عن التفرغ للتربية، ولئن قال البخاري رحمه الله: العلم قبل القول والعمل، فقد قال الصحابة رضي الله عنهم ما هو أبلغ من ذلك وهو أن الإيمان قبل العلم، كما روى الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عشنا برهة من الدهر، وكان أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وقال على رضي الله عنه: رأيت أصحاب رسول الله ﷺ، فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سُجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع، فوالله لكأني بالقوم باتوا غافلين.

فلا شك في أن النبي ﷺ اهتم بتربية الصحابة الكرام، وسقاهم القرآن، ورقاهم بالقيام والصيام، حتى صاروا شموس ضياء وأقمار هداية، وفتح الله - عَزَّ وَجَلَّ - بهم البلاد وقلوب العباد، وتكونت الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة في فترة

كأنها لحظات من عمر الدنيا، بعد ثلاثة عشر عامًا من ابتداء البعثة النبوية المباركة، ثم توالت الانتصارات، وانتشر الضوء، وعم الخير، فجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى عم الإسلام جزيرة العرب ثم سطع النور بعد ذلك في المشارق والمغارب، حتى دق المسلمون أبواب «فينا» في أوربا ووصلوا إلى حدود الصين في آسيا، وكان هذا ببركة تربية الصحابة على الإسلام، وبذلهم لإعزاز دين الملك العلام.

فما العز للإسلام إلا بظلهم ... وما المجد إلا ما بنوه فشيَّدوا

وعلى هذا الهدى المبارك درج السلف رضي الله عنهم من التابعين فمن بعدهم، فكانوا يهتمون بتربية الناشئة على الإيمان الصحيح، والخلق النبيل، والآداب السنية، والسنن المصطفوية، وهذه أمثلة من اهتمام السلف بالتربية:

مما يروى في كتب «التاريخ والأدب» أن الفضل بن زيد رأي مرة ابن امرأة من الأعراب فأعجب بمنظره، فسألها عنه فقالت: إذا أتم خمس سنوات دفعته إلى المؤدب، فحفظ القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه، ولقن مآثر آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرس وتفرس ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ[1].

وروى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء. وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء...».

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» للدكتور عبد الله ناصح علوان (١/ ١٥١) ط. دار السلام.

وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «يا أحمر: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرِّفه الأخبار، وَرَوِّهِ الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرنَّ به ساعة وإلا وأنت مغتنم فائدة تقيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقَوِّمْهُ ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وَرَوِّهِمْ الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال، وجنبهم السفلة والخدم، فأنهم أسوأ الناس أدبًا، ووَقِّرْهُمْ في العلانية وأَنِّبْهُمْ في السر، واضربهم على الكذب، إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار».

وذكر الراغب الأصبهاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أُمية يقول لهم: ما أشد ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا[1].

وإذا كان السلف يهتمون بالتربية مع أنهم كانوا يعيشون في أجواء إيمانية ينعمون بالتحاكم إلى شريعة الله - عَزَّ وَجَلّ - ويدعون إليها فكيف بالمسلمين اليوم وقد تحكم فيهم عدوهم، وحرموا من شريعة ربهم، وابتليت بلادهم بالمحن المتتابعة، والفتن المتنوعة، ورمتهم قوى الشر والشرك عن قوس واحدة، واجتمعت عليهم ظلمات بعضها فوق بعض، وانتشرت في بلادهم الأفكار العلمانية، وعشش في ديارهم دعاة الإلحاد والإباحية، وساعدتهم وسائل الإعلام الخبيثة من الجرائد والمجلات والتلفاز والفيديو واستقبال البث المباشر في نشر الإباحية والفجور والتبرج والسفور، فأجهزوا على ما تبقى عند المسلمين من تعزز بالعقيدة وغيرة وحياء.

---

(١) بتصرف من «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ١٤٣-١٤٤).

والدُّعاة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أضعف من أن يواجهوا هذه الأمواج المتلاطمة والتيارات الجارفة، وهم مقهورون مضطهدون في أكثر بقاع الأرض، تلفق لهم التهم، ويزج بهم خلف الأسوار، ويضيق عليهم إذا أرادوا أن يتحركوا بدين الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولدين الله - عَزَّ وَجَلَّ - فهذا على الصعيد العام، أما على صعيد الساحة الإسلامية فاختلاف الجماعات في الدعوة، وتربية الأفراد على التعصب لفكر الجماعات وقيادتها وإن كانت مخالفة لفكر السلف ومنهج السلف. وكذا ادعاء بعض الجماعات أنها الفرقة الناجية وأن باقي الجماعات عادية تصير إلى الهاوية والنار الحامية، والعجيب أيضا أن هذا الاختلاف موجود فيمن ينتسبون إلى فكر أهل السنة والجماعة، ويعتقدون معتقدهم، فتجد في البلد الواحد سلفيات متعددة، لتعدد اللافتات والقيادات، وإن دل ذلك على شيء فأول ما يدل عليه الخلل التربوي في هذه الجماعات، فكان الواجب عليهم تربية الناس على الولاء لاعتقاد السلف، وفكر السلف، الولاء للجماعة التي أشار إليها النبي ﷺ حينما تكلم عن اختلاف الأمة، وأخبر أن الفرقة الناجية هي الجماعة وفسر العلماء رواية الجماعة بالرواية الأخرى في قوله ﷺ: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)]، فالمقصود بالجماعة جماعة الصحابة قبل أن تظهر البدع والاختلاف كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، وكذا من كان على معتقد الجماعة الأولى وفهمها للكتاب والسنة، فمهما كان ولاء الأفراد للجماعة الأولى ومعتقدهم، تألفت القلوب، واجتمعت على الحق، وحصل مقصود الشرع في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكذا قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]

---

(١) سيأتي تخريجه - إن شاء الله تعالى -.

فما أحوج المسلمين في هذا الواقع الأليم إلى تلمس خطى رسول الله ﷺ في التربية، ودراسة أخلاق ومؤهلات الجيل الأول الذي رباه رسول الله ﷺ، وإعداد منهج تربوي قائم على العلم والدراسة المتأنية، والاهتداء بأنوار القرآن والسنة النبوية والسيرة المصطفوية، ثم وضع هذا المنهج وهذه الدراسة موضع التنفيذ. فتخرج من السطور إلى الصدور، ومن الصدور إلى الدور فتصير واقعًا عمليًا يقصد به تربية جيل على نمط الجيل الأول.

قال إمام دار الهجرة مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أمر أولها.

فلا يتصور عز حقيقي للإسلام وخلافة إسلامية على منهاج النبوة حتى يتضح هذا الفكر، وينتشر هذا الفهم وهو أن يربى الناس على اعتقاد السلف، وكذا فهمهم للكتاب والسنة، وما كانوا عليه من أخلاق سنية وآداب مصطفوية، ومن تصور أن الإسلام يمكن أن ترتفع رايته بأناس ما تربوا تربية صحيحة، أو كانوا على عقائد تخالف اعتقاد السلف، وفكر يخالف فكر السلف فهو واهم، فالشيعة أقاموا دولة ولكنها دولة شيعية وليست إسلامية وإن أطلقوا عليها إسلامية، فالإسلام في جانب وأصحاب العقائد الخربة في جانب، وكذا من تصور أن الإسلام يقوم بالمهاترات السياسية والمسالك البرلمانية، أو بضربة خاطفة يُراق فيها دم شخص أو أشخاص وفي غفلة من الزمن يمكن للإسلام وأهله، فكل ذلك من أحلام اليقظة ومما لا يشهد له شرع ولا واقع. وقد تعددت التجارب المعاصرة التي تبين فساد تلك المسالك والمهالك، كتجربة الجزائر وتركيا، وبعض الجماعات الإسلامية في مصر، فلم يبق إلا أن يرجع الناس إلى هدي الأنبياء وسنتهم وطريقتهم في تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ -، والارتقاء بهم وبأحوالهم وأخلاقهم حتى يراهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - أهلًا للتمكين، فيملكهم البلاد ورقاب العباد».

فهذا جهد المقل في التربية على منهج أهل السنة والجماعة، وقد استفدت فيه من كتب وأبحاث علماء ومفكرين نحسبهم مخلصين، أدلى كل واحد منهم بدلوه، منهم من بين أهمية التربية لإعادة بناء الدول الإسلامية، ومنهم من لفت النظر إلى أهمية دراسة الجيل الفاضل جيل الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من بين مؤهلاتهم وأخلاقهم التي جعلتهم سادة وقادة، ومنهم من بين أهمية التربية العقائدية أو الفكرية. وقد كان جهد الباحث في تأليف هذه الأقوال، وتنسيق هذه الأزهار، حتى اكتمل البنيان، واتضح الحق لكل ذي عينان.

وقد اشتمل البحث على سبعة فصول رئيسية:

الفصل الأول- في بيان معنى التربية وأهميتها لإعادة بناء دولة الإسلام.

الفصل الثاني- في بيان المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية.

الفصل الثالث- في بيان أنواع التربية المطلوبة لبناء جيل على نمط الجيل الأول جيل الصحابة رضي الله عنهم.

ويشتمل على:

١ – التربية العقائدية.
٢ – التربية الفكرية.
٣ – التربية الإيمانية.
٤ – التربية الخلقية.
٥ – التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية.
٦ – التربية الجسدية الجهادية.
٧ – التربية على العفة والاستعفاف.

الفصل الرابع- الهدى القرآني في التربية.

الفصل الخامس- الهدى النبوي في التربية.

الفصل السادس- وسائل التربية.

ويشتمل على:

١ – التربية بالقدوة.
٢ – التربية بالموعظة.
٣ – التربية بالقصة الهادفة.
٤ – التربية بالأمثال.
٥ – التربية بدراسة التراجم.

الفَصْلُ السَّابِعُ – المنهج التطبيقي العملي التربوي.

ويشتمل على:

١ – اختيار المربين.
٢ – منهج التربية الفردية.
٣ – منهج التربية في وحدة النشاط (المسجد).
٤ – المنهج العام للتربية.

وقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي، وأذبت فيه عقلي وفكري، ورجوت أن أكون فيه متبعًا لا مبتدعًا، وأسميته «**التربية على منهج أهل السنة والجماعة**»، وأرجو أن يسد ثغرة في المكتبة الإسلامية، وأن ينفع الله به شباب الصحوة وسائر البرية، والله أسأل أن يوفقنا وسائر الإخوان للعمل بما فيه، ونصيحة مخالفيه، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحُجَّةً على العباد أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com